محمود العبطة والتراث الشعبي

باسم عبد الحميد حمودي

ولد الباحث محمود ابراهيم جاسم العبطة في كرخ بغداد عام ١٩٢٠ ورحل عنا في الخامس عشر من تشرين الثاني ١٩٨٦ وهو بعد في اوج نشاطه وقدرته على العطاء.

في مقتبل حياته الادبية كان محمود العبطة وهو يعد شاباً ناقداً من نقاد مجلة (الحديث) الحلبية التي كان يصدرها سامي الكيالي وكان الكتاب العراقيون في اربعينيات القرن الماضي يهتمون بالنشر في مجالات القاهرة ودمشق وصيدا وحلب وكانت اكثر بحوث المؤرخ عبد الرزاق الحسني تنشر –على سبيل المثال- في مجلة (العرفان) في صيدا وكان الزهاوي والرصافي ينشران في صحف القاهرة، وكان الاديب العراقي الشاب ايام الستينيات لا يعترف به (مرموقاً) الا عند نشره في (الاداب) البيروتية.

انصرف محمود العبطة بعد هذا لدراسة التراث الشعبي العراقي فكتب فصولاً عنه في كتاب (القافلة) الذي اصدر الجزء الاول منه قبل ثورة ١٤ تموز بشهر واهداه الى (السجين) الاستاذ كامل الجادرجي زعيم الحزب الوطني الديمقراطي الذي كان محكوماً وسجيناً، فكان ذلك مثار غضب السلطة الملكية فاقتيد محمود العبطة الى الموقف وهو المحامي ووضع فيه حتى قامت ثورة تموز حيث اطلق سراحه.

ولئن كان كتاب (القافلة) كتاباً ثقافياً منوع الفصول فيه من الترجمة عن الانكليزية والفارسية اللتين يتقنهما العبطة ما فيه من التأصيل باللغة التي نشر بها فقد جاء بعده كتابان مهمان في حقل التراث الشعبي العراقي الفهما العبطة، الاول هو (رجل الشارع في بغداد) والثاني هو الذي نعرض فصلاً منه في هذه الصفحة وهو (الفولكلور في بغداد) صدر الاول عام ١٩٦٢ وصدر الثاني بعده بعام، وكان (رجل الشارع في بغداد) كتاباً جديداً في تناوله للتاريخ الشعبي وقد واجه المؤلف صعوبة في الحصول على المراجع التي تعينه على اكمال بحثه لان المصادر الرسمية لا تكاد تعكس نشاطات الرجل العادي في صياغة الوقائع وقد وضع الباحث عناوين فصول الكتاب مرتبطة بحركة الانسان البغدادي فكانت (رجل الشارع في عهد السيادة) و(في النفوذ الاجنبي) و(الايام السود) وهو يعرف رجل الشارع انه "في المعنى الذي نريده هو العامي الواعي الذي يحسن في موقفه حيث ينتمي الى هيئة او مؤسسة او منظمة او حركة" ثم يعرض العبطة لصدى التحولات الفكرية والسياسية على حياة رجل الشارع.

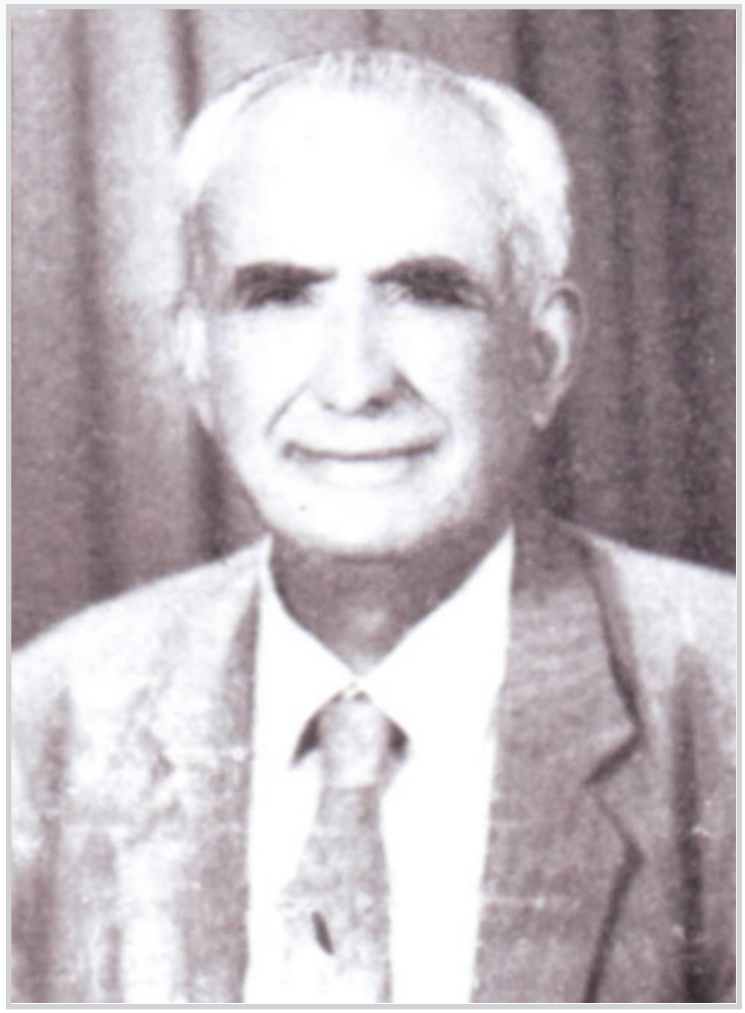

محمود العبطة

مظاهر الفولكلور في الحياة البغدادية

وتأتي فصول الكتاب بعد مقدمتين للمؤلف وللدكتور اكرم فاضل على الترتيب التالي: تاريخ الفولكلور- الفولكلور البغدادي- ما هو الفولكلور- عناصره- اقسامه- فنون الادب الشعبي- الموسيقى الشعبية- الغناء الشعبي- الرقص الشعبي- الفنون التشكيلية- الفنون الجامعة- المسرح الشعبي- الوان اخرى.

ويعترف العبطة في المقدمة انه يحاول الاسهام جزئياً في هذا المفهوم الهام في اساءة مفاهيم صحيحة عن الفولكلوريات فقد "خصص بدراسة الفولكلور البغدادي وجعل في مواضيع متعددة يربطها رباطاً واحداً بلا تبويب او تنسيق" وهو يعلل ذلك بالقول "لان الموضوع جديد بكر وهذا مما لا يسيغ للباحث زج ولصق اشياء من عنديات واجتهاداته واته قبل الثبات والاستقرار في المفاهيم العامة".

في الفصل الاول "تاريخ الفولكلور" يرجو الباحث من القارئ ان يبعد مؤقتاً عن ذهنه المفهوم التقليدي للفنون والاداب التي روجها اساتذة الجامعات والمجلات والكتب وان يعود اليها بعد الانتهاء من قراءة الفصل الذي يعرف فيه كلمة (فولكلور) ومنشئها في آب ١٨٤٦ بقلم وليم جيمس توماس معتمداً على (الفنون الشعبية) لرشدي صالح وعلي مؤلفي (المدخل الى الفولكلور العراقي) حيث يصف بدء النشاط الفولكلوري في العالم وتأسيس جمعية الفولكلور العالمية في لندن عام ١٨٨٨ ليثبت بعد ذلك التعريف الاول الذي توصل اليه اعضاء الجمعية في ان الفولكلور هو "علم المأثورات Narratives والعادات Customs والتقاليد "Tradtine ثم يؤكد بعد ذلك اهتمام الدارس الفولكلوري عالمياً بالتراث الشعبي وينادي بضرورة الاهتمام به ويبكر بالدعوة الى "ايجاد كرسي للفولكلور العراقي في جامعة بغداد" ليدرس في الفصل الثاني (الفولكلور البغدادي) مؤكداً حقيقة غابت عن دارسين كثيرين وهم يتحدثون عن التراث الشعبي العراقي فهو يقول في ص٢٣:

ان الاقوام المقيمة في بغداد عندما كانت قرية منزوية على دجلة، كانت مشحونة باخلاقيات البابليين والكلدانيين واساطيرهم في الخليقة والكون وامثالهم واقوالهم السائرة وفنونهم وبقيت متسربة في المجتمع البغدادي".

وهو يشير بذلك الى وجود بغداد كقرية يوم كانت "سوق الثلاثاء" وقبل ذلك بكثير، فقد مر بها الاسكندر المقدوني ومر بها خالد بن الوليد واجتمع فيها العرب يشترون ويبيعون ويتنادمون، فقد كانت بغداد قبل المنصور وقبل التدوير وكانت تاخذ من الحضارات وتضيف ما لديها حتى اذا ما اصبحت بغداد مدينة السلام حتى كانت قابليتها على العطاء وقبل ذلك الاستيعاب والتطوير اكثر واشمل.

لقد اخذت بغداد في الغناء الشعبي كما يقول الكاتب الموال من واسط ورقته واخذت الزجل الاندلسي واعطته من جديد باسم الحجازي وتاثر البلاط العباسي بشعر الادوار (المزدوجات) واخذ الموشح والكان وكان والقوما وغيرها من فنون الشعر الشعبي.

ولا نريد هنا ان نلخص صورة الفولكلور البغدادي كما رسمها العبطة ولكننا نؤكد حماسه وقدرته على تجميع المصادر وايرادها ضمن سياقها الفولكلوري.

في الفصل التالي (ما هو الفولكلور) يناقش الكاتب تعريفات (التراث الشعبي) المختلفة واختلافات علماء الفولكلور حولها ورغم ان هذا الفصل قد جاء متأخراً في فصول الكتاب فان اهميته تتضح في تاريخيته ولا في معلوماته وقل ذلك عن الفصل التالي (عناصر الفولكلور) لكننا نجد تأكيد العبطة على اهمية الموضوع المبحوث رغم عدم الدقة في ايراد الصفات لكننا نشعر ان هذا الكتاب اكثر تنظيماً من سابقه (رجل الشارع) لانه يحتوي على مخطط موضوع سلفاً لابوابه حيث ينتقل المؤلف بعد هذا التنظير الى التطبيق الفولكلور البغدادي اقساماً وانواعاً كالحكاية الشعبية والشعر الشعبي واقسامه والصحافة الشعبية ونداءات الباعة والالغاز والموسيقى الشعبية بانواعها والغناء الشعبي واقسامه ثم الرقص الشعبي والفنون التشكيلية الشعبية والعمارة والفنون الشعبية الجامعة أي التي تجمع اقساماً مختلفة في اداء فولكلوري واحد، ولا ينسى العبطة ان يورد الوانا اخرى كالهداي وموسم المحبة والعاب رمضان والزفة والكسلة والزيارات والمعتقدات الشعبية العلوية والعاب الصبيان وضاربي الرمل دون ان يصنفها واعداً القارئ بدارستها دراسة شاملة في كتاب مستقل.

وبعد

فان كتاب العبطة هذا يعد مرجعاً اساسياً لدراسة فولكلور المدينة التي احب واعطى لها، ويأتي كتابه الاخر عن الملا عثمان الموصلي استكمالاً للجهد السالف فهو لا يدري حياة الموصلي الرائد فقط بل عن جهده الفني الشعبي في بغداد فهو يستعين بما يستعين به الباحث الفولكلوري الرصين: المقابلات والمصادر المكتوبة والمسموعة لينسج كتابه بعد ذلك.

الفنون التشكيلية الشعبية

هذا باب واسع من ابواب الفولكلور البغدادي وعلى الرغم من سعته فانه قل من طرقه او بحث عنه من زاويته الشعبية، وهو يحوي في اطاره: التصوير والزخرفة والوشم والنقش واشغال الفخار والجلد والمعادن والزجاج والحجر والازياء والتطريز والاثاث والعمارة الشعبية والعرائس وكثيراً غيرها ولسعة الباب ولكون الالمام التام به من الصعوبة بمكان، ولهذا فسوف نكتفي بتعريف خاطف لاكثر المواضيع ونفصل قليلاً في التصوير الشعبي والازياء الشعبية وفي موضوع العمارة الشعبية في بغداد. ونبدأ بالمواضيع المفصلة:

التصوير الشعبي

تصادفنا في هذا البحث عراقيل كثيرة لا تزال مغلقة لانعدام البحوث المحلية عن التصوير الشعبي في بغداد ولندرة النصوص والشواهد ولقلة او انعدام المتخصصين فيه، ومع هذا فقد لمعت في الافق بوادر عند تقديم دراسات تحليلية لاحد المصورين وهو يحيى الواسطي مصور مقامات الحريري، وصدور طابع في بغداد يحمل صورة من عمله. ولكن هذه البوادر مع الاسف لم تتسع، ولعلها جهود فردية لم تلق التشجيع والتوسيع. مع الاسف مرة ثانية وبهذه المناسبة نشير الى وجود (مدرسة) للتصوير تحمل اسم "واسط" قارنها باحد الباحثين بمدرستي الكوفة والبصرة في النحو فنأمل!كما ونلفت نظر القارئ الكريم الى موضوع تطور الفولكلور البغدادي من زاوية التصوير في هذا الكتاب.

تدرج التصوير الشعبي في بغداد وبقي المصور البغدادي المجهول يمارس عمله البسيط وفي وقت سدت الابواب الرسمية عن ممارسة هذا الفن الجميل بحجة تحريم الدين اياه مع انه لا يوجد نص صحيح بذلك والصور هذه توجد على واجهة جدران البيوت القديمة واكثرها يتخذ صورة اوراد الجوري والجنبد المحبوبة لابن الشعب او صورة غزالة او حمامة، والصورتان تحملان رمزاً اسطورية بغدادية، ومع هذه الصورة الجدارية –تجاوزاً- توجد صور مرسومة على اوراق كبيرة يسمونها ورق (المعشر) ملونة بالوان فاتحة اكثرها الازرق والاصفر والاخضر وتستحضر من اعشاب خاصة، وهي تصور اشخاصاً تاريخية او مناقب وخوراق الاولياء والشيوخ مثالها لقاء الامام علي مع عمرو بن ود العامري وكيف ان سيف الامام قد شق ابن ود العامري من خوذته حتى حصانه، ومشاهد من واقعة الطف وشخوص الامام الحسين والعباس ومعسكراتهم، ومعسكرات جيش امية.. ومثالها صورة تبرز الشيخ عبد القادر وقد جلس أسد ضخم بين يديه، الخ والرسام الشعبي عندما يرسم الشخصيات الدينية يجعل وجهها بياضاً دون ابراز لحواس الوجه، والى هذا فان المصور البغدادي الشعبي بعد شيوع الزجاج قبل الحرب الاولى وبعدها، اخذ بجسم الصورة على الزجاج والى جانب كل ما ذكر فانه كثيراً ما يصور المشاهد المقدسة في بغداد وكربلاء والنجف كما ويرسم ملامح المناظر المحلية من نخيل او نهر او حيوان محلي. انها تصاوير فولكلورية تحمل صفات الفولكلور ليس فيها من القواعد العامة في التصوير كنظرية المنظور وتناسب الاحجام وما اليها، شيئاً وعطاؤها عفوية وانطلاق وتذوق بالالوان وتجسيم للتحركات بصورة تدعو الى الدهشة، ويكاد هذا الفن ان يصاب بالاندثار بعد الحركة الصناعية وكثرة التصاوير والمطبوعات ورخصها كما ان التصاوير التي تسد حاجة ابن الشعب بجانبها الفولكلوري اخذت تجلب بكثرة من ايران او الهند او مصر، بحيث ضيقت الخناق على الفنان البغدادي.

الازياء الشعبية

"ان الازياء الشعبية، نراها في كثير من الاحيان ترتبط اشكالها وطرق تفصيلها بعقائد شعبية وطقوس معينة، وكذلك الحال بالنسبة الى الزخارف التي تطرز عليها اذ يغلب ان تكون لغرض معين ايضاً لمنع الحسد، او الرغبة في جلب الخير، او ضمان الاكثار. واحياناً ترث الازياء الشعبية ازياء عصور سبقتها" كما وانه "ترتبط العادات والتقاليد الشعبية في كثير من الاحيان باغراض سحرية او علاجية لبعض الامراض، فلا تقف الثياب عند حد ستر الجسم والوقاية من البرد او الحر فغسل الثياب او تفصيلها او لونها المميز وزخارفها وتطريزها، كل هذا له معان عند الرجل الشعبي، بل هو مجال يشبه في غرابته الاساطير الخرافية المتناهية في الغرابة، ولكن يحسن ان لا ننبذ هذا اللون من التراث ونتجنب دراسته لانه ضرب من الجهل والشعوذة، بل تدعو الحاجة عند دراسة الازياء وتاريخها ومذاهبها وتنوع اشكالها ومناسباتها الى ان نقف ايضاً على الجانب الاخر من هذه الدراسة، وهو الجانب البعيد عن الواقع، فتنكشف بعض المعاني الرمزية التي تحملها الثياب في الفكر الشعبي" عليه ولهذه الاهمية المبنية على دراسة الازياء، فندعو في هذه العجالة المسؤولين والمعنيين بشؤون الفولكلور الى دراسة الازياء وعقد المعارض لها واقتناء النماذج والعينات التي يمكن وجودها في هذه الايام وقد يصعب ذلك في المستقبل للزحف الجديد على العادات والاعراف القديمة بما فيها الازياء الشعبية.

اول ملاحظة نرصدها ونحن على اهبة تسجيل الازياء الشعبية في بغداد، هي تغييرها الجذري في العشرين سنة الاخيرة، فكل الازياء الخارجية والداخلية وللجنسين قد استبدلت بالثياب الافرنجية خصوصاً في الجيل الجديد. وبقيت عند ابناء الجيل القديم مظاهر من ازياء بغداد تعد غريبة عن أزياء ابناء الحرب الاولى، والملاحظة الثانية هي تعدد ازياء المقيمين في بغداد بسبب الهجرات الهائلة التي كثرت في اعقاب الحرب الاولى وتضخمت وتورمت فيما بعد الثانية، وقد يلمح السائر في شارع الرشيد انماطاً ونماذج لا يحصرها الحاصر من ازياء الرأس فقط، او نوع واحد من ازياء الرأس كالعقال مثلاً، ان هذه الازياء غير بغدادية، ودراسة بسيطة لازياء بغداد قبل سنين قليلة تكشف لنا وحدتها وتشابهها بحيث كونت لها طابعاً خاصاً، ونرجع الى موضوعنا الفولكلوري فنقول: لقد احتفظت الازياء بهيئتها طيلة اجيال طويلة ولم يصبها تغيير جوهري الا في السنين الاخيرة كما قلنا، ومثال ذلك، كانت المصانع المحلية (الجوم) تزود السوق بالمنسوجات الخياطة الملابس، وحين شيوع المنسوجات الاوربية بعد الحرب الاولى فقد استعملت للغرض المذكور بدون تغيير يذكر في الهيئة والتفصيل والالوان المرغوبة مما يحقق عندنا صفتي العراقة والقدم، والحيوية والانسجام مع الحياة الجارية. كما انها تعكس بتعدد اشكالها الفئات التي يتكون منها المجتمع البغدادي فلرجال المهن من حائك وبناء وحداد وخياط.. الخ جراوية تميزه عن غيره من الفئات، ولرجل الدين بتعدد الاديان، عمامة تختلف باختلاف العقائد لكنها تتشابه مع رجال دينه او رجال الاديان الاخرى بدرجة تقريبية لوجود الجبهة المتشابهة في كل والتاجر وصاحب الدكان والملاك يلبس الكشيدة.. الخ كما ان ابناء الرسول والمتشبهين بهم يلبسون السيدية الخضراء على اختلاف في المذاهب، وهذا ما يدلل على توفر صفة الجماعية في الزاوية التي ندرس بها ازياء بغداد.

والعقائد والاساطير تظهر في الازياء، فكثير من الزخارف التي تطرز على ثياب النساء والاطفال تحمل صفة الحجاب او اسماء دينية، وكذلك الودع والخضرم الذي يخيط مع ثياب الصغار يذهب الحسد، وحمل (البلزبند) يكسب القوة ويمنع للرصاص وكذلك عظم الهدهد.. الخ كما ان تبخير الثياب يحمل رواسب سحرية قديمة، كما ان لبس نوع من الخرز او نوع خاص من الملابس الحريرية يشفي بعض الامراض ولبس القماش الاحمر يشفي الحصبة والازياء الشائعة للرأس هي المذكورة في اعلاه مع تعدد انواع الجراويات فمنها السيلفه والعصفورية والعدام، والفينه والعرقجين، والسدارة في السنين الاخيرة. اما اليشماغ والعقال فلم يكن مالوفاً الا في جانب الكرخ او في منطقة عكيل من الجانب، ولكنه شاع بين سكان الجانبين خاصة في اعقاب الحرب الاولى. اما شعار الرأس عند النساء فلا يتعدى العصابة والبويمة والجرغد والكيش ونلحق معه البوشي او البركع. اما لباس الجسم فهي الدشداشة والصاية والزبون (وكلها متشابهة) والدميري والزخمة والعباءة واللبادة وهي تكاد ان تتشابه عند الجنسين.

وهناك اعتقادات في الحزام لا مجال لتفصيلها ويلبسه الرجال والشيوخ ويفضل منه الجلدي العريض. والشروال كان شائعاً عند اصحاب الاعمال واليمني البغدادي والقبغلي والنعال والكيوه مركوب الرجال والقبقاب والبابوج تستعمل عند النساء.

العمارة الشعبية

والتغيير الفجائي الذي اعتور الازياء من اساسها اصاب هو الآخر العمارة الشعبية وبالنظر الى الهدم الكثير للاحياء الشعبية الكثيرة، وبناء البيوت الجديدة على الطراز الغربي، فلا تمر سنوات قليلة الا ونفقد العمارة البغدادية الاصيلة، ونفقد بذلك تراثاً تتفقده الامم الحية.. والعمارة الشعبية تمتاز بصفة العراقة والقدم هي الاخرى، حيث انها منذ العهد البابلي حتى الاسلامي والعصر الاخير بقيت على نمطها القديم. فالحوش لفظة عراقية بغدادية لعل اصلها غير عربي، ورد ذكرها في مظان قديمة جداً، كما ان الطراز المألوف في البيوت البغدادية القديمة من وجود ساحة مكشوفة مربعة او مستطيلة تحيط بها الغرف هو في هذا الوقت مثله في العهود السابقة الا تغييرات ظاهرية بسيطة مثل تبديل الحديد (الشيلمان) بالاخشاب وفتح المنافذ على خارج الدار لم يكن مألوفاً في القديم ولكنه شاع بعد الحرب الاولى، والمالوف الشائع بناء العمارة الشعبية من طابق واحد وقد يبنى من ذوات الطبقتين، ففي الطبقة الاولى منها القاعة مع غرفة المؤن والمطبخ والسرداب والايوان (الليوان) وفي الطبقة الثانية غرف النوم التي يتصل بعضها بواسطة الطارمات، وللغرف في الطبقة الفوقانية منافذ للخارج يدخلها الهواء والضوء ولبعض الغرف شبابيك بارزة (شنشيناً) –شناشيل- تشرف على الطريق.

وتبنى الدور باللبن والجص او من الطابوق الاصفر مع النورة والرماد والجص، ومعها السميجي، وتسقف بالخشب او الشليمان والباب خشبية اعتيادياً وعليها راموز على شكل يد او طير ويعلق في الباب نعل حصان او رأس غزال محشي بالتبن او ابريق فخاري يشترط ان يكون ازرق اللون، ولكل ما يعلق في الباب رمز اسطوري، ويشترط بعد اكمال بناء دار جديدة في بغداد القديمة ذبح ضحية وان يلطخ باب الدار وجدارها بدمها اما على شكل اصبع او كف.

ومع البيوت نذكر باب العمارة الشعبية المساجد البغدادية بطرازها الانيق وهندستها المتقنة بطوقها ومحاربيها وزخارفها وبقاشانها الجميل، والمنارة البغدادية طابع بغداد تقليدي يأتي على رأس تقاليد العمارة البغدادية.

وفي الختام نذكر الحمامات والاسواق والمسنايات والطوق والابار وما الى ذلك، نذكرها للتاريخ ونذكر انها انقرضت بأثر تغيير طرق المعيشة في بغداد.

الفنون التشكيلية الاخرى

سوف نحصر الحديث بنظرة عابرة عن الزخرفة البغدادية والنقش ثم الوشم واشغال الفخار والجلد والمعادن والزجاج والحجر والتطريز والاثاث والعرائس وغيرها مكررين ما سبق التأكيد عليه بان كل موضوع جدير ببحث مستقل لا باشارة خاطفة.

وللزخرفة فن تقليدي كسبه التداول حيوية برع فيه البغدادي ومثاله زخارف المساجد والكنائس والبيوت القديمة في الطوق وزخارف الخشب (الخردة) في الشبابيك والابواب وفي الاعمدة والمقرنصات. والنقش مجاله اوسع من الزخرفة حيث يتناول اكثر الاشياء التي يفرغ فيها الفنان براعته من البيوت والمعابد والابنية حتى السلاح والساعة او الخاتم، وقد يلبس الصدف او الفضة بلون آخر (التكفيت) بصورة متناسبة، وللفنان البغدادي ولع خاص باللون الازرق والالوان الفاتحة. ولا ريب ان الزخارف والنقوش تحمل معاني اسطورية، ورموزاً عقائدية. والوشم (الدكه) فن آخر له اصوله ويكون بلون ازرق او احمر ويوضع على الجسم البشري فقط، على الوجه بامكنة خاصة وعلى اليدين والرجلين..

اما الفخار فهو اقدم الفنون الشعبية اطلاقاً ولبغداد شهرة عالمية بنوع فخارها الي تصنع منه انواع عديدة من الانية، وهو على الوان، منه ذو اللون الطبيعي الابيض، ومنه الازرق والاخضر والاصفر، وللجلد صناعاته وزخارفه ونقوشه، واهم الفنون البارزة في اشغال المعادن هي صياغة الذهب والفضة والمينة والنحاس والرصاص ومن الزجاج تفرعت انواع من الفنون اهمها الفوانيس والمرايا واواني السرج والقناديل، ومن الحجر تنحت بصورة بدائية اشكال الحيوانات والطيور وتيجان الاعمدة وطاقات الرحى والتطريز هو نوع من الفنون التي لها تقاليدها واكثر المواد الشائعة في اعماله هو الحرير والكلبدون ويكون التطريز على شكل ازهار واوراق وطيور وقد تطرز الاسماء المقدسة.

وللاثاث البيتية في بغداد (القديمة) من سرير المنام الخشبي المزخرف او المعمول من سعف النخيل الى الحصر والابسطة والصناديق والمرايا والاواني النحاسية والفخارية حيث لا تعمل في بغداد اواني الخزف، الى آلات اللهو، الى المراوح اليدوية الى مهود الاطفال والعابهم.. الخ كلها فنون فولكلورية تقطر بالحيوية وتعكس روح الشعب بوضوح وجلاء.

والعرائس (اللعب) التي يلعب بها الاطفال وتعمل من الاقمشة او الخشب او الطين صورة اخيرة من الفنون التشكيلية، وهناك نوع منها سنرصده في الفصل القادم لانه بداية خصبة لارساء مسرح للعرائس في بغداد!

ولابد من ذكر الوان اخرى هي اشغال الورق من المزهريات والطيور واشغال الشمع والتمائم التي تحاك من حبات النمنم والخرز والودع وتوضع في المحلات والمقاهي حتى العربات او السيارات وعلب السكائر وهياكل النوارجيل والغلايين المعمولة من الطين او الخشب.. الخ والعاب الاطفال لون آخر من الفنون التشكيلية يتميز بمرونة تعيش مجريات الايام، فهناك لعب تغيرت من راكب الجمل الى راكب سيارة، او طيارة او صاروخ بسرعة وهنالك فن شعبي يندمج مع الفنون التشكيلية وله قواعده واصوله هو الخط بشتى ألوانه، والطابع العام للخط البغدادي هو النسخي وعلى الرغم من استخدام المستحدثات الافرنجية في اكثر الفنون التقليدية فقد بقيت آلات الخط هي الثابتة، ولا ادل على عراقة وسمو هذا الفن من القطع والالواح المرفوعة في مساجد بغداد والاعظمية والكاظمية والباقية حتى اليوم، ودليل ثابت آخر هو الخطاط السيد هاشم الذي تخرج على يد الحاج علي في جامع الفضل وبعد سنين قليلة اشتهر وزكت خطه مدارس القاهرة واستانبول..

وتطور فن الخط التقليدي الى نوع جديد يمزج بين الخط والرسم وبشكل صوراً على هيئة زهرة او حمامة وهي في الوقت نفسه الفاظ وعبارات يمكن قرائتها وما الى ذلك.

ومن الالوان الفولكلورية المندمجة مع هذا الباب صناعة اليرز البغدادية التي نالت شهرة عالمية قبل الحرب في الاناضول واليونان، ونسيج الحرير الذي كانت تنتجه مصانع بغداد، وعمل غدارات الخيول بالوان جذابة والابسطة والطنافس.. الخ.

ان هذه الفنون التشكيلية الفولكلورية قد انقرض اكثرها بسبب لا يجهله القارئ الكريم وهو زحف الالة وتحول المجتمع الى حياة جديدة، عصرية.. نحن نبارك كل تقدم وعصرية ولكن بشرط اساسي هو عدم قطع وهدم الرابطة بيننا وبين تراثنا الحي بتقاليده العريقة وبفنونه الانسانية وبابداعاته التي تبهر اهل الحسس والذوق السليم، ومدينتنا ملكة المدن، وام العواصم، وذات الشهرة العالمية عند المثقفين في العالم، لم يبق من مظاهرها الفنية الا بضعة جوامع وكنيسة واحدة، ومدرسة المستنصرية وخان مرجان ومنارة سوق الغزل وبضعة اسواق كسوق الهرج الكبير وسوق رأس الجسر في الكوخ وسوق الاحمدي وعدد قليل من البيوت والفنادق وحمام واحد هو حمام شامي في الكرخ ان هذه الامكنة الحية هي وجه بغداد الصحيح وانها –مع الاسف- تنتظر دورها في الهدم، وسنندم حين لا يفيد الندم.

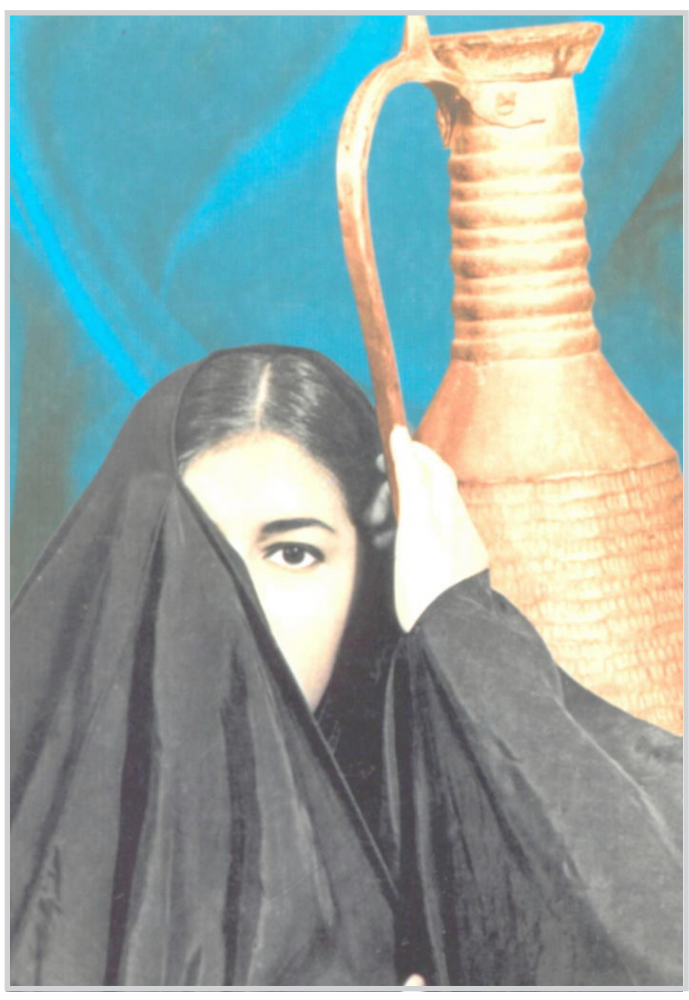

حاملة الجرة من الفولكلور البغدادي

بائع (السبح) في المتحف البغدادي